مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

DOI: 10.54240/2318-014-001-009

زوايا تافيلالت وعلاقتها بالمخزن وحركة المقاومة خلال التوغل الفرنسي بالجنوب الشرقي المغربي (أواخر القرن 19 وبداية القرن 20م)

The angles of Tafilalet and its relationship with the warehouse and resistance movement during the French incursion into the southeast of Morocco (late 19th century and early 20th century)

اسم ولقب المؤلف: عبد الرحمان ملوكي- MELLOUKI Abderrahmane صص186- 204
الدرجة والعنوان المهني: دكتوراه في التاريخ المعاصر- أستاذ الثانوي التأهيلي بالأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين- فاس مكناس- المغرب/البريد الإلكتروني: melloukiabdo2015@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2023/12/31.. تاريخ المراجعة: 2024/01/07.. تاريخ القبول: 2024/04/17..

الملخص باللغة العربية: شهد القرن العاشر الهجري (16م) تعاظم مكانة الزوايا بالمغرب، بفعل تغلب النصارى على المسلمين في الأندلس الذين ساموهم سوء العذاب، ثم امتدت أطماعهم إلى احتلال الثغور المغربية، فتدخلت حينذاك الزوايا في شؤون البلاد السياسية وأخذت تدعو إلى الجهاد والمقاومة.

وعلى الرغم من الارتباط الوثيق بين المخزن السلطاني والزوايا، فإن العلاقة بينهما تأسست على المصالح المشتركة. إذ كان السلطان غالبا ما يُسَخّر الزوايا في المصالحة بين القبائل المتنازعة، وحثّ الناس على ضرورة طاعة الأوامر المخزنية، وبالمقابل تمتع شيوخ هذه الزوايا بجانب كبير من الحصانة السياسية والنفوذ الاقتصادي. غير أن العلاقة بين المؤسستين تعرضت للتصدع في بعض الأوقات، خاصة خلال تعارض مصالحهما السياسية، أو تطلع زعماء الزوايا إلى الانفراد بقضايا السلطة وتدبير شؤون الرعية.

لكن زوايا تافيلالت تميزت بعلاقة جيدة مع المخزن، حيث أشارت الرسائل السلطانية إلى مدى الاحترام والتقدير الذي خص به هؤلاء السلاطين شيوخ هذه الزوايا، وأيضا ما منحوهم إياه من هبات وهدايا في مناسبات عديدة، وذلك لأدوار هؤلاء الشيوخ المتميزة في تثبيت الأمن والاستقرار فضلا عن توطيد دعائم السلطة المخزنية بالقصور والقصبات التي استقروا بها. وتجدر الإشارة إلى أن الصلحاء

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وشيوخ الزوايا بتافيلالت كان لهم دور حيوي في تحقيق السلم والأمن؛ من خلال التوسط في النزاعات والفصل في الخصومات. وفي مناطق الجنوب الشرقي ومنطقة تافيلالت تحديدا، لعبت الزوايا أدوارا طلائعية في تأطير المجتمع القبلي واستنهاضه ضد الغزو الفرنسي للأراضي المغربية.

الكلمات المفتاحية: زوايا تافيلالت- المخزن السلطاني- حركة المقاومة- التوغل الفرنسي- الجنوب الشرقي المغربي- أواخر القرن 19 وبداية القرن 20- الوساطة السياسية- ظهائر التوقير والاحترام- الهدايا والهبات- التصوف الديني.

ABSTRACT : The 10th century of Hijri (The 16th Century) saw the status of the corners of Morocco increased, as the Muslims overcame the Muslims in Andalusia, who were subjected to bad torment. Their aspirations extended to the occupation of Moroccan loopholes, at which time the angles interfered in the country's political affairs and called for jihad and resistance.

Despite the close correlation between the royal warehouse and the corners, the relationship between them was founded on common interests. The Sultan often harnessed corners in reconciliation between conflicting tribes, urging people to obey stored orders and, conversely, enjoying a great deal of political immunity and economic influence. At times, however, the relationship between the two institutions has been fractured, especially during the conflict of their political interests, or the aspiration of the leaders of the two corners to become exclusive to power issues and to manage the nation's affairs.

However, the Tafilalet corners were characterized by a good relationship with the warehouse, with the royal letters indicating the respect and appreciation that these elders were accorded to them on many occasions, as well as the gifts and gifts they gave them for these elders' outstanding roles in establishing security and stability as well as consolidating the inventory of power with the shortcomings and reeds they settled. It should be noted that Tafilalet by mediating disputes and adjudicating discounts. In the regions of the South-East and the Tafilalet region in particular, the corners played proactive roles in framing and extinguishing tribal society against the French invasion of Moroccan territory.

Keywords: The corners of Tafilalet - the royal warehouse - the resistance movement - the French incursion - the Moroccan south-east - the late 19th century and the beginning of the 20th century - political mediation - the manifestations of reverence and respect - gifts and gifts - religious mysticism

المقدمة: اضطلعت مؤسسة الزوايا بدور ريادي على مر العصور الإسلامية، خاصة في الغرب الإسلامي الذي انبثقت فيه أنوار الدين الإسلامي مع جهود الفاتحين الأوائل؛ أمثال موسى بن نصير وعقبة بن نافع. وقد كان المغرب الأقصى ذلك البلد الذي احتضن عددا كبيرا من الزوايا التي انتشرت في مختلف مناطقه وجهاته انتشار النار في الهشيم.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وتعتبر تافيلالت بالجنوب الشرقي المغربي من أهم المناطق التي احتضنت الكثير من أهل التصوف والصلاح، وأيضا الكثير من الطرق والاتجاهات الصوفية المختلفة. وتجلى ذلك في تشييد العديد من الزوايا/القصبات التي كانت لشيوخها ومريديها اليد الطولى في معظم التطورات السياسية والدينية والثقافية التي شهدها هذه المنطقة منذ القرن السابع عشر.

ولا شك أن زوايا تافيلالت قامت بأدوار هامة في التحريض على المقاومة والجهاد، إلى جانب قيامها بالتربية والتعليم والصلح بين القصور والقبائل التي كانت تتصارع فيما بينها لأسباب سياسية أو اقتصادية. غير أن السلطان المغربي ومن خلال ممثليه كانت له علاقة قوية مع هذه المؤسسة الروحية والدينية، مما أثر في بعض من الأحيان على استقلالية هذه الأخيرة وبالتالي قوة تأثير أحكامها وقراراتها.

وفي هذا الصدد نود من خلال هذه الورقة العلمية دراسة زوايا تافيلالت وتطوراتها التاريخية، عبر مقاربة إشكالية **العلاقة الجدلية بين زوايا تافيلالت من جهة، والمخزن وحركة الجهاد والمقاومة من جهة ثانية، إبان الزحف الفرنسي على واحات تخوم الجنوب الشرقي المغربي**. ويتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية: متى ظهرت الزوايا بالمغرب؟ وما التطورات التاريخية لزوايا تافيلالت منذ النشأة وإلى بداية التوغل الفرنسي بالجنوب الشرقي المغربي؟ ثم ما علاقة هذه الزوايا بالمخزن السلطاني؟ وما موقف شيوخها من حركة المقاومة؟

وبالنسبة لأهداف الدراسة فتتمحور حول إبراز دور الزوايا بتافيلالت وأهميتها التاريخية في التأثير على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لساكنة المنطقة، على الرغم من اصطدامها بمصالح المخزن والسلطات المحلية، الشيء الذي أضعف قراراتها ووظائفها خلال بعض الأوقات خاصة مع فترة التوغل الاستعماري وتزايد مطالب أهل تافيلالت بضرورة تزعم شيوخها لقافلة المجاهدين، الأمر أسهم في توتر علاقة هذه الزوايا ببعض السلاطين الذين كانت لهم اتفاقيات حدودية مع السلطات الفرنسية المستعمرة لبلاد الجزائر.

1- الزوايا بالمغرب الأقصى: النشأة والتطور: لقد كانت هذه الزوايا في بداية الأمر، عبارة عن مساجد خاصة بطائفة من المسلمين، يجتمعون فيها للصلاة وقراءة الأوراد الصوفية، وكان هذا

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

النوع من المساجد الخاصة يدعى في القرون الأولى للإسلام، رُبَطا ورباطات[1]. هذه الأخيرة انتشرت **"على طول الساحل المغربي في سلسلة متلاحقة، ثم غلب اسم الزاوية وتكاثر عدد الزوايا بالمغرب بانتشار التصوف فيه ابتداء من القرن 6هـ/12م"**[2]. فأصبحت الزاوية- بالإضافة إلى كونها مكانا للعبادة- تأوي الواردين المحتاجين وتطعمهم، ثم مكانا للمقاومة، ينطلق منه المريدون والأتباع من أجل الجهاد ونشر الدعوة الإسلامية.

ثم لم تلبث أن تحولت هذه الزوايا إلى مدارس دينية، لم تقتصر على تلقين الأذكار والتفرغ للخلوة والعبادة، بل تعدت ذلك إلى تلقين العلوم الشرعية، وتدريس العلوم الإسلامية .وأقيمت حولها المدارس والأبنية لسكنى الطلبة، مما جعلها عبارة عن مركز علمي وديني يقصده العلماء والطلبة على حد سواء، فضلا عن إيواء الغرباء والمسافرين، حتى قيل في تعريفها إنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة[3].

وفي المغرب الأقصى أصبحت الزوايا مؤسسات فاعلة ومؤثرة في الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية للناس، وشمل نفوذها معظم التراب المغربي، حتى قيل بأنه **"إذا كانت بلاد المشرق هي بلاد الرسل والأنبياء، فإن بلاد المغرب هي أرض الصالحين والأولياء"**. وهكذا يعتبر المغرب من بين البلدان الإسلامية، البلد الذي يُبجّل أكبر عدد من الأولياء، فلا وجود فيه

1- الرُبَط لغة مصدر رابَطَ يُرابِطُ بمعنى أقام ولازم المكان، ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين: أولهما البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد الهجوم عنها، والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صالحوا المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين، وجاء في القرآن الكريم: "وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل" (الأنفال الآية 60)، ثم "يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" (سورة آل عمران الآية 200) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه" (حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين والنسائي وابن ماجة وغيرهم). وقد عرف المغرب الربط مع الفتح الإسلامي وورد ذكر "رباط ماسة" بالسوس الأقصى في أخبار عقبة بن نافع، وموسى بن نصير وادريس الأول.

2- محمد حجي، " المؤسسات الدينية بالمغرب في القرنيين السادس عشر والسابع عشر"، مجلة المناهل، ع 1، مطبعة فضالة، المحمدية، 1980، ص 14.

3- عبد الرحمان ملوكي، "جوانب من الأدوار السياسية للزوايا بمنطقة تافيلالت قبل الفترة الاستعمارية"، ضمن كتاب جماعي مغرب التنوع مباحث في التاريخ والتراث، منشورات مركز رؤى للدراسات والأبحاث، فاس، ط 1، 2021، ص 54.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

مطلقا لهضاب لا يُتَوّجها مزار، وقليلة هي القرى أو المقابر التي لا يوجد بها ضريح يمجد وليا أو أكثر من ولي، وقد لا يكون الشعار القائل بأن المغرب بلد المائة ألف ولي شعارا مغاليا[1].

وقد عرفت الزاوية تطورا نوعيا على عهد المرابطين، فقد أسس أبو محمد صالح الماكَري المتوفى عام 631هـ/ 1234م حوالي ست وأربعين (46) زاوية على طول طريق الحج من المغرب إلى مصر، وكان تلامذة هذا الشيخ يشرفون على تسيير هذه الزوايا. فكانوا يقدمون كل المساعدات اللازمة إلى الحجاج المغاربة، كما عملوا في الوقت نفسه على بث مبادئ التصوف بين أتباع الشيخ والراغبين في سلوك طريقه[2]. وهكذا نشأت الزاوية في المغرب بسيطة في مكان منعزل تمارس التصوف الديني والزهد الدنيوي، لكنها ما لبثت أن طورت وظيفتها تلك؛ لتنخرط في الحياة الاجتماعية، والدينية، والتعليمية، وتنهض للدفاع عن حوزة الدين والوطن، ومن ثمة أضحت تنافس السلطة المركزية في حدودها الجغرافية والسياسية.

وبعد مقاربتنا لمفهوم الزاوية وظروف نشأتها في المغرب الأقصى نتساءل عن طبيعة الزوايا المنتشرة بربوع تافيلالت، وعن مدى قوتها وتأثيرها على قبائل المنطقة؟ أاقتصرت وظائفها على الجانب التعليمي والصوفي، أم امتد عملها إلى جوانب أخرى؟ وما علاقة زوايا تافيلالت بالجهاد والمقاومة؟ وكيف كانت علاقتها بالمخزن وبالمجتمع الفيلالي؟ وأين يتمثل دورها في فض النزاعات والمصالحة بين القبائل المتصارعة؟

1- 1- ظهور الزوايا بتافيلالت: إن دراسة زوايا تافيلالت يتطلب مبدئيا البحث في الظروف التاريخية التي تحكمت في نشأتها، والتطورات التي ساهمت في تنامي نفوذها، مما جعلها قادرة على تحريض أهل تافيلالت على الجهاد والمقاومة فضلا عن فض نزاعات القبائل. ولم يتأت لها هذا الأمر على ما يبدو، إلا بفعل وجودها الدائم في عمق مشاكل الناس، فقد كان رجال التصوف دائما في قلب المجتمع، وكانوا فاعلين في تأسيس دوله، وتوجيه سياسته، وثقافته، وتشكيل هويته.

1 - مصطفى الكثيري، "تقديم"، ضمن أعمال ندوة دور علماء تافيلالت وأدبائها وفنانيها وقبائلها وجيش التحرير في مقاومة الاستعمار، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط 1، 2015، ص 9.

2 - Michaux Bellaire, « Conférences sur les Confréries religieues au Maroc », Archives Marocaines, volume 27, pp 51 - 52.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وبالرجوع إلى الرواية الشفهية والمصادر التاريخية، وكتب الرحلات التي دونها الرحالة والمستكشفون الأوربيون، نستنتج أن جل زوايا تافيلالت لم يسطع نجمها، ويتعاظم نفوذها، إلا خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي؛ هذا القرن الذي شهدت فيه المنطقة تحولات سوسيو اقتصادية وسياسية عميقة، يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:

*مجاليا؛ تزايد التوغل الفرنسي في أراضي الجنوب الشرقي.

*اقتصاديا؛ تعاقب سنوات الجفاف والمجاعات والأوبئة.

*اجتماعيا؛ احتدام الصراع بين قبائل تافيلالت بنوعيها الرحل والمستقرين، لأسباب تتعلق أساسا باختلافهم حول تدبير بعض القضايا، مثل توزيع مياه الفيض، واستغلال غابات ومزارع المنطقة.

ولهذه الاعتبارات تَدخّل الصلحاء[1] لحل العديد من المعضلات التي كان يعاني منها مجتمع تافيلالت؛ فحاولوا بذلك حل مشاكله العالقة، وإعادة التوازن السياسي والروحي والاجتماعي لكل مكوناته خاصة بين الرحل والمستقرين. مما أسهم في تزايد تأثير مؤسسة الزوايا بالمجال الفيلالي، فضلا عن تنامي دورها في تعليم الناس أمور دينهم عن طريق دروس الوعظ والإرشاد، وتلقين المريدين لمفاهيم الطريقة الصوفية، عبر الأوراد والأذكار التي تميزها عن باقي الطرق الأخرى، كما كانت الزاوية تقدم دروسا في الآداب والفلسفة[2]. وتجدر الإشارة أن زوايا تافيلالت منها ما اندرس وانتهى أمرها، ومنها ما بقيت حاضرة إلى يومنا هذا، ولو أن إشعاعها الصوفي والعلمي قد ضعف وتضاءل[3].

1 - الصلحاء جمع صالح ويقصد بهم هنا شيوخ الزوايا والساهرين على خدمتها، ويطلق عليهم محليا لقب "المْرابطينْ". ويشير الأنثروبولوجي "إدموند دوتي" بخصوص معنى الصلحاء ما نصه: "إن كل يوم يقوم العامة من الناس بإضفاء القداسة على الصلحاء كأفراد يبدو لهم أنهم تلقوا البركة من الله". أنظر:

- إدمون دوتي، مهام في المغرب من خلال القبائل، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الرحيم حزل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2015، ص 31 .

2- عبد الله استيتو، دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 2013، صص 136 – 137.

3 - عبد الرحمان ملوكي، التاريخ الاجتماعي لتافيلالت خلال القرن التاسع عشر (1845 - 1900) من خلال نماذج من وثائق مخزنية، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، السنة الجامعية، 2009 - 2010، (مرقونة)، ص 84.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وقد اندمج الأولياء أو "المرابطين" في المجتمع الفيلالي وتفاعلوا مع أحداثه، مما جعلهم يحظون بثقة العامة، باستثناء بعض الأحيان "**التي ركنوا فيها إلى حياة العزلة والانفراد**"[1].

ويعتبر انجذاب قبائل تافيلالت للزوايا وتعاطفهم معها، عاملا أساسيا في خدمتهم لها؛ حيث أغدقوا عليها الأموال والهدايا والهبات، ناهيك عن تحبيس أملاك وعقارات كثيرة عليها[2]. فكانت هذه الزوايا تقوم باستغلال هذه الأوقاف أو الأحباس بشكل مباشر، أو تكتريها لأشخاص آخرين بمقابل مادي، أو تُفوّتها لأناس على أساس منحها ثلث الإنتاج.

1- 2- أدوار الزوايا بتافيلالت: كانت الزوايا تضم المرابطين الذين عُرفوا بالورع والتقوى، كما اشتهروا بصفة الأولياء الصالحين. ويقوم أبناء الولي الصالح بمهمة رعاية ضريحه، وتلقّي الهدايا والهبات النقدية والعينية، وتتكلف عائلات الأولياء في معظم الأحيان بتأسيس مراكز للتربية والتعليم الديني والصوفي، فضلا عن تهييئ أماكن الزيارة، وعقد الوساطة والتحكيم بين الناس. والجدير بالذكر أن عدد السلالات من المرابطين بالجنوب الشرقي وصل إلى عشرين (20) سلالة، منها ثمانية (8) في تافيلالت وحدها؛ وقد اشتهر منها خلال أواخر القرن التاسع عشر أولاد سيدي الغازي في تافيلالت، وأولاد بوزيان في القنادسة، وأولاد سيدي مولاي كرزاز في وادي الساورة[3].

تميز مرابطو الزوايا بصفة "البركة"، التي تتجلى في السلوك الحسن، والورع، وسعة العلم. وكانت هذه البركة تتفاوت في مستوياتها بين هؤلاء، حسب درجة التقوى والاستقامة. ومن غير المستبعد قيام ساكنة تافيلالت، واعتبارا لهذه الأسباب، بتوظيف مرابط الزاوية في منح صبغة الشرعية لمختلف أنشطتهم الاجتماعية والسياسية، وحماية التجارة، والتحكيم بين القصور والقبائل في حالة النزاع والخصومات[4].

1 - ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984، ص 266.

2- لمزيد من المعطيات بخصوص أهم الزوايا بتافيلالت وإشعاعها العلمي والصوفي يرجى الاطلاع على مقالنا: "جوانب من الأدوار السياسية للزوايا بمنطقة تافيلالت قبل الفترة الاستعمارية "، م. س، صص 58 - 61.

3 - روس إدان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للأمبريالية الفرنسية ،1881 – 1912، ترجمة أحمد بوحسن، منشورات زاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،1977، صص 45 - 46.

4 - نفسه، ص 46.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وكان مرابطو زوايا تافيلالت يقومون بالوساطة السياسية أو التحكيم بين سكان القصور والرحل في المنطقة. ففي أواخر القرن التاسع عشر كانت الأسرة الرائدة في هذه المنطقة هي أسرة أولاد الغازي، التي كانت تقيم في الجانب الغربي لمقاطعة السفالات. وهذه الأسرة هي التي أقامت السلم في الغرفة[1] بعد المعركة الأولى بين أولاد بوعنان وأولاد بلكَيز سنة 1894م؛ إذ كتب شيوخ وقواد ذوي منيع رسالة للسلطان يوضحون فيها **"ما قام من نزاع بينهم وبين المهاجرين من الجزائر: قبيلة أولاد سيدي الشيخ، وبسببه تعرضوا لاعتداء بعض قبائل المنطقة، بيد أن المرابطين القنادسة تمكنوا بوساطتهم من عقد الصلح بين الأطراف المعنية ورجعت العلاقة بينهما إلى سالف عهدها**[2]. ومن المؤكد أن بعض الزوايا حاولت أن تقدم اقتراحات وحلول لبعض المشاكل التي كانت تؤرق قبائل تافيلالت وتقض مضجعها، وقد قوبلت أغلب هذه الاقتراحات بالقَبول، كما استحسنها سكان القصور والرحل المنتجعين على حد سواء.

وفي هذا الإطار أشار شيخ زاوية "سيدي الغازي بن العربي" في مقابلة شفهية أجريناها معه، عن الأدوار الهامة التي قامت بها هذه الزاوية، في سبيل تحقيق السلم وحل المشاكل والنزاعات بين قبائل وقصور تافيلالت. ومن القضايا التي ذكرها هذا الأخير، قيام شيخ الزاوية "سيدي العربي بن الغازي" بإقامة الصلح بين آيت خباش وقصر مزكَيدة، وبين الخباشيين وأهل الغرفة أيضا؛ كما يسرد المستجوب بعض المسائل المتعلقة بعمليات الصلح المذكورة، كقدوم حوالي 40 شريفا من مدغرة من بينهم يهودي، إلى حرم الزاوية الغازية، بالإضافة إلى العديد من الطَّلْبَة[3]والهيلاليين، سكان قصر"أولاد سيدي إبراهيم الهيلالي"، حيث أن عقد

1 - إحدى المشيخات الست لتافيلالت تقع بالجنوب الغربي للواحة، وهي مجموعة من القصور أسست حوالي ق8هـ/ 14م.

2 - أحمد مزيان، **المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845- 1912)**. منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج2، ط2، 2007، ص 150.

3 - الطَّلْبَة لدى سكان تافيلالت هم حفظة القرآن. وقد كان حضور هؤلاء ضروريا في المجالس التي يعقد فيها الصلح، نظرا لاحتياج هذه المجالس إلى سماع تلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم قصد تليين قلوب المتخاصمين، وتخليصهم من الأحقاد والضغائن الناجمة عن الخصومات والنزاعات.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الهدنة بين القبائل أو القصور المتنازعة يتطلب حضور فسيفساء من العناصر البشرية الفيلالية، وفي مقدمتها المرابطين والشرفاء والطلبة[1].

لقد جمعت بين قبائل تافيلالت وشيوخ ومْرابطي الزوايا المحلية علاقات قوية ومتينة أساسها الحب، والاحترام، والتوقير، الأمر الذي ساهم في استجابة السكان لقرارات وتوجهات المْرابطين وتنفيذ معظم الأحكام الصادرة منهم، خاصة في مجال الصلح بين القبائل. وقد كانت أعمال الصلح تلك، وفض النزاع بالتي هي أحسن، كفيلة بأن تجعل من المْرابْط صاحب الزاوية وليا مشهورا ورجلا صالحا يلتمس كل الناس بمختلف طبقاتهم بركة دعواته، ولا يترددون في اتخاذه واسطة صلح لفض نزاعاتهم المستعصية، كما كانوا يستجيرون به من تعسفات وجور الشيوخ الزمنيين، وعمال المخزن مهما كبر شأنهم[2].

خلاصة القول تتميز زوايا تافيلالت بكونها عبارة عن زوايا/قصور؛ أي أن الزاوية في القصر والقصر في الزاوية، وهذا ما يسمح لها بالبقاء والاستمرارية رغم تراجع دورها العلمي، حيث تبقى قائمة في شكلها الاجتماعي كقصر لا يختلف في تنظيمه الداخلي وعلاقاته بما حوله من قصور المنطقة، إلا ما كان من تمييز لسكان الزاوية بالمْرابْطين.

1- رواية شفوية ، أجريت يوم الجمعة 31 غشت 2018م بزاوية سيدي الغازي بن العربي على الساعة الحادية عشرة صباحا مع شيخ الزاوية نفسها السيد "عبد العزيز الغازيوي" من مواليد سنة 1950. وقد ذكر لنا هذا الشيخ مجموعة من الأبيات الشعرية تعود بحسب قوله إلى مأثورات الشيخ " سيدي الغازي بن العربي"، وهي:

يا أَهْلَ النّوبَة المُكْلفينْ بَالْكَوْنْ يا المْيزانْ لّي بِكُمْ يَصْلحْ الدّينْ
سْمعْنا شَمْسْكُمْ تْغيبُوا كُلْ لْبْنانْ تَقَرّبوكُلْ بْعيدْ يوجَدْ طَرْفَةْ عينْ
يا أَهْلَ النّوبَة لا تْبْقاوْ غافْلينْ لاحْظوا لا تْرْبَطْ قْلوبْكُمْ الْعينْ
حْميوْنا حْمايْةْ عْزَمْ الطّاغْيَينْ لَبْسُونَا حُلَلْ الطّرْزْ بَالإيْمانْ

من الأكيد أن الشيخ سيدي الغازي يقصد بأهل النّوبَة أولئك الأولياء والصالحون الذين لا يُعرف الكثير منهم، وهو في هذه الأبيات يستنجد بهم ويدعوهم إلى أن يصْحوا من غفلتهم. وفي سياق آخر ذكر مستجوبنا أبيات أخرى لشيخ الزاوية نفسه وهي:

أنا الْعاصِي أُو في الدّينْ غَارْقْ وَلْجِماكْ مْهرّبْ والْتِجاءْ
سِيدي بِعْلَاكْ كُلْ شْفيعْ يَوْم لاَ خُلّة ولا شْفاعَة

واهْديني بِهْداكْ وأصْلِحْ شَأْني كُلّهْ. ثم قال أيضا: **بِخُصوصْ وَقْتْ جَهْلوني واعْذَرْتْهُمْ فِيما قالوا هَداكْ ما فْهْمُوا مَتّي كُلّ مْسْكِينْ وَحَالُو.**

2- أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17 مطلع القرن 20): دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، إصدار آفاق متوسطية، مطبعة صونير، 1994، ص 125.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وما تزال أطلال المدارس العلمية بهذه الزوايا إلى اليوم تحكي ما عرفته من إشعاع علمي في الماضي القريب. كما كانت هذه المؤسسة تجمع بين التصوف والعلم، وأهم ما يميز الزاوية الصوفية عن الزاوية العلمية هو روح الحيوية التي يتسم بها نشاط الزاوية مما يسمح لها بالاستمرار والتطور حتى بعد وفاة الشيخ، بينما ينتهي دور الزاوية العلمية بزوال أهل العلم بها، كما هو الشأن بالنسبة لزاوية الماطي والزاوية البوبراهمية[1].

2- علاقة الزوايا بالمخزن السلطاني: ارتبط المخزن السلطاني بالزوايا ارتباطا وثيقا، ورغم أن علاقتهما تأسست في جانب كبير منها على المصالح المشتركة، فإن السلطان كان غالبا ما يُسَخّر الزوايا في المصالحة بين القبائل المتنازعة، فضلا عن تكليفها بِحثّ الناس وإقناعهم بضرورة طاعة الأوامر المخزنية، وبالحفاظ أيضا على الأمن وسلامة الطرقات. ويحيلنا هذا إلى طرح بعض التساؤلات الآتية: لماذا يقوم المخزن باستغلال مؤسسة الزوايا في حفظ الأمن، وهل هذه الأخيرة مؤسسة أمنية؟ أليس ما يَقْدُم عليه هذا الأخير فيه احتقار وظلم لها؟ أم هو على النقيض من ذلك؛ تشريف وتعظيم لمكانتها؟

تظهر الزوايا على الساحة السياسية المغربية عندما تضعف السلطة المركزية. ذلك لأنها تبقى الأداة الوحيدة القادرة على تنظيم الجماهير قصد ضبط الأمن الداخلي والتصدي للهجمات الخارجية. وقد يقوى نفوذها السياسي إلى درجة التطلع إلى ممارسة السلطة العليا في البلاد، مثلما حدث بالنسبة للزاوية الدلائية[2].

لذلك فإن سلاطين السعديين منذ بداية عهدهم بذلوا كل ما في وسعهم لإضعاف الزوايا والحد من خطرها على المنافسة السياسية. من خلال العمل على تضييق سلطتها الاقتصادية؛ فالناصري يقول إن ضريبة "النايبة" فرضها السعديون على الجميع بما في ذلك الشرفاء وشيوخ الزوايا. وقد تطاول بعض السلاطين على حرمة هذه الزوايا؛ حيث وصل الأمر بالسلطان محمد الشيخ المهدي إلى مصادرة كل الودائع التي كانت في حوزة الزوايا منذ العهد المريني[3].

1- راجع بخصوص هاتين الزاويتين مقالنا "جوانب من الأدوار السياسية للزوايا بمنطقة تافيلالت قبل الفترة الاستعمارية"، م. س، صص 58 - 61.

2- عبد اللطيف أكنوش، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، مطابع افريقيا الشرق، 1987، الدار البيضاء، ص 106.

3 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 5، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، صص 26 - 31.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

إن تسخير المخزن المركزي لشيوخ الزوايا في أعمال أمنية أو صُلحية، يمثل حسب اعتقادنا، طريقة ذكية في احتوائه لهذه المؤسسة؛ بحيث تحمل هذه السياسة بين ثناياها مواقف إيجابية وأخرى سلبية، تتجلى السلبية في الإخضاع الرمزي للزاوية عبر عملية تسخيرها في مراقبة الطرق ومواجهة قُطّاعها، فضلا عما يخلفه ذلك من أضرار جسدية ومعنوية.

في حين تظهر المواقف الإيجابية في جعل الزوايا تشعر بالفخر والاعتزاز عندما يكلفها السلطان بالتدخل لإصلاح ذات البين، وعقد الصلح بين قبيلتين متخاصمتين أو أكثر. هكذا تكون السلطة المخزنية قد تمكنت من المزاوجة بين اللعب على طرفي نقيض؛ فهي من ناحية تمكن الزاوية من تبوّؤ مرتبة عظيمة لدى القبائل التي استفادت من تدخلها في عقد المصالحة، ومن ناحية أخرى تُذلها وتُقلِّل من شأنها في الوقت التي تصدر لها الأوامر بحراسة المسافرين ومراقبة الطرق.

ومما لا شك أن المخزن العلوي كان يتعامل بحذر مع مؤسسة الزوايا، مثلما كان يتعامل معها المخزن السعدي تماما، لكن مع كثير من المرونة على ما يبدو، رغم أن بعض الزوايا دخلت في صراع سياسي مكشوف مع الدولة العلوية منذ نشأتها، وإلى نهاية القرن 19م، لأسباب تعود بالأساس إلى التنافس على السلطة (مثل الزاوية الدلائية والشرقاوية وزاوية أحنصال وزاوية أمهاوش في الأطلس المتوسط) أو للحفاظ على استقلال تلك الزوايا بالقرار في مناطق نفوذها (زاوية "إليغ" وإلى حد ما الزاوية الدرقاوية بمدغرة)[1].

لقد تميزت العلاقة بين المخزن العلوي والزاوية بالشد والجذب، وبالمنح والمنع؛ فقد سجلت الظهائر السلطانية مدى الاهتمام الكبير للسلاطين العلويين بأهل الزوايا في تافيلالت، حيث أصبغوا عليهم النعم الكثيرة والعطايا الجزيلة. وتعامل سلاطين الدولة العلوية بشدة وصرامة مع بعض الزوايا، لاسيما التي أحَسُّوا بخيانتها أو شككوا في ولائها وإخلاصها، كما هو الحال مع الزاوية الحنصالية التي اتهمها المخزن بالتواطُؤِ مع قبائل آيت عطا نومالو، فكانت نهاية الشيخ الحنصالي مأساوية[2].

1 - أحمد مزيان، م. س، ص 140.

2 - Morsy Magali, Les Ahansals, examen du rol historique d'une famille maraboutique de l'atlas marocain, Paris, 1972, p 15.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

أصدر السلاطين العلويين عدة ظهائر تدعو إلى ضرورة احترام وتوقير مرابطي الزوايا. بل وصل الأمر إلى حد إعفائهم من كل الضرائب والكلف المخزنية، بالإضافة إلى منحهم هدايا وعطاءات مالية. ومن بين هذه الظهائر نشير إلى ظهير السلطان الحسن الأول إلى شيخ الزاوية القندوسية محمد بن عبد الله في 24 جمادى الثانية 1304هـ / 18 مارس 1887م يأمر فيه ولاة الأمر في المنطقة " **أن يستوصوا خيرا بالمرابط ويحموا حمى الزاوية ويدبوا عن ساحتها**"[1]. وقبل ذلك كان السلطان محمد بن عبد الله قد أصدر ظهيرا يرد بموجبه للمرابط أبي مدين بن محمد بن أبي زيان ما كان له من أصول ودور بقصور الغرفة في تافيلالت[2].

تتوفر الخزائن والربائد المغربية على كم هائل من الرسائل السلطانية التي تبين العلاقة الوثيقة بين زوايا تافيلالت وسلاطين الدولة العلوية[3]، سواء منها الصادرة عن السلطان العلوي وهي في مجملها ظهائر توقير واحترام لمرابطي وشيوخ الزوايا، وظهائر تدعو عمال وقواد تافيلالت والتخوم الشرقية بإكرام شيوخ زوايا المنطقة، ومنها : رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز إلى قواد قبيلة ذوي منيع يأمرهم بمعاملة شيخ الزاوية القندوسية بما يليق من التوقير والاحترام: 22 محرم 1316هـ/ 12 يونيو 1898م[4]، كما نشير إلى رسالة أخرى صادرة من خليفة السلطان مولاي رشيد إلى السلطان مولاي الحسن يخبره فيها بعزم مرابطي زوايا تافيلالت (أهل "زاوية من لا يخاف"، أهل "زاوية سيدي ابو ابراهيم العمري"، أهل "زاوية سيدي علي بن عبد الله"، اهل زاوية "سيدي أحمد الحبيب"، أهل "زاوية عمار"، أهل "زاوية سيدي أحمد ابدله"، أهل "زاوية القاضي") على زيارته وتجديد العهد معه: في 7 من صفر الخير 1311هـ/ 20 غشت 1893م[5] ، ثم رسالة ثالثة من السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى شيخ الزاوية القندوسية محمد بن عبد الله القندوسي يثني عليه رغبته في القدوم إلى حضرة السلطان لتجديد العهد معه، كما يدعو له بالتوفيق والصلاح: في 8 صفر عام 1284هـ/ 11 يونيو 1867م[6].

1 - مديرية الوثائق الملكية، ملف الصحراء الشرقية.

2 - م. و. م، ملف الصحراء تافيلالت

3 - خلال زياراتنا المتكررة لمديرية الوثائق الملكية بالرباط، اطلعنا على العديد من هذه الرسائل، كما استنسخنا عددا كبيرا منها.

4 - م. و. م، ملف الصحراء الشرقية

5 - م. و. م، ملف تافيلالت.

6 - م. و. م، ملف الصحراء الشرقية.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وقد اضطلع أهل الزوايا والصالحون بعدة وظائف تجلى أبرزها في التفرغ للعبادة والوساطة بين الناس، وإرشادهم إلى الصلاح وتحبيب الحكام إليهم، ناهيك عن مساعدة المخزن على حفظ الأمن والسكينة[1]. ولذلك نبه أحد المقربين من المخزن بتافيلالت السلطان مولاي عبد العزيز إلى الاهتمام بالزاوية القندوسية في رسالته المؤرخة في 22 ربيع الثاني "النبوي" 1319هـ/ 9 يوليوز 1901م، مذكرا السلطان بقوله: **"لكون زاويتهم زاويتنا وخدمتهم صادقة وسيرتهم محمودة مع أسلاف سيدنا...وطلبوا منا مطالعة علم سيدنا بحالهم...وقد شاهدنا فيهم الخصال المحمودة من إطفاء نار الفتنة وإصلاح ذات البين وبذل النصيحة للمسلمين...وما قصروا في سد الذرائع كدأب أسلافهم"**[2]. كما تسلم المْرابط محمد بن عبد الله القندوسي من الزاوية نفسها رسالة صادرة عن السلطان الحسن الأول في 10 ذي القعدة 1308هـ/ 16 يونيو 1891م يأمره فيها أن يقف مع مرسوله "الطالب العربي المنيعي" حتى يصل إلى وادي الساورة آمنا[3].

على العموم يمكن القول أن هذه الزوايا كانت موالية للمخزن المركزي[4]. ففيما يخص الزوايا البعيدة عن المركز السلطاني والمتمركزة مثلا في الساورة، وتوات، وشنقيط، فإن السلطان كان يتنازل لها عن بعض السلطات والمهام الاجتماعية والسياسية. أما الزوايا ذات الأهمية الاقتصادية والسياسية أو الاستراتيجية، فإنه غالبا ما عمد السلطان العلوي إلى تدجينها "ومخزنتها" لتصبح مجرد دواليب إدارية في يد المخزن السلطاني[5].

بالإضافة إلى الوظائف الدينية والجهادية، فإنه تم توظيف الزوايا، وبدعم من المخزن العلوي في محاربة أهل البدع والنحل الضالة[6]. كما تم استغلالها كدواليب "دبلوماسية" للمخزن المركزي أثناء الحملات التأديبية أو"الحرْكات" التي كان يقوم بها السلاطين العلويين

1 - أحمد مزيان، م. س، ص 142.

2 - م. و. م، ملف الصحراء الشرقية.

3 - نفسه.

4 - عبد اللطيف أكنوش، م. س، ص 106.

5 - Abdellah Laroui, les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain (1830-1912), Centre culturelle arabe, 2ème édition, 2001, p 144.

6 - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص 186.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

ضد القبائل "السائبة". فقد كانت الزوايا تضغط على هذه القبائل للتفاوض السلمي مع المخزن السلطاني. والشاهد على ذلك الدور الذي قامت به الزاوية الوزانية في علاقة المخزن بقبائل "زمور"، والزاوية العمرانية تجاه قبائل "بني مطير" و"آيت سغروشن".

وهكذا نخلص إلى أن علاقة زوايا تافيلالت بالمخزن المركزي تميزت بتعدد أشكالها وألوانها، وتدخلت عدة مؤثرات خارجية لتحدد تموقع الزاوية: موالية للمخزن، أو معارضة، أو محايدة. بيد أنه من خلال قراءتنا للعديد من الوثائق التاريخية، والتي أدرجنا بعضها ضمن هذا العنصر وصلنا إلى استنتاج مفاده؛ أن المخزن المركزي خلال الفترة المدروسة استطاع أن يستميل معظم زوايا تافيلالت إلى صفه، وحتى التي لم تنضو تحت لوائه فإنه فرض عليها الحياد، بحيث لم تدخل في مواجهة مباشرة ضد السلطة المخزنية. وهذه التبعية كانت بطبيعة الحال لاعتبارات كثيرة نذكر أهمها:

- **الاعتبار الأول**: يقوم السلطان بمنح امتيازات كثيرة للزوايا، إذ أن ظهائر "التوقير والاحترام" التي تتضمن إعفاء شيوخ ومرابطي الزوايا من الضرائب واستفادتهم من الهدايا والمنح المادية السلطانية، تستأنف لدى كل بيعة لسلطان جديد، الشيء الذي يفرض على الزاوية تجديد الطاعة وعدم إظهار المنافسة أو العداء للسلاطين.

- **الاعتبار الثاني**: يعد قَبُولُ الشيخ الجديد للزاوية من قبل السلطان شرطا ضروريا لاستخلافه على الزاوية على نحو قانوني ورسمي، ولو زكاه جميع أتباع الزاوية. الأمر الذي لا يترك مجالا لخدام الزاوية للتلاعب بهذا المنصب أو الاستهتار بمكانة السلطان أو التطاول على قراراته.

- **الاعتبار الثالث**: يتعلق بموارد الزاوية؛ إذ أن الهدايا والزيارات التي تتلقاها من الأتباع والمريدين غير كافية لسد كل حاجياتها، بيد أن الموارد المالية الهامة والأساسية تبقى شرعا بيد السلطان من زكاة وأعشار؛ وهي ضرائب تؤدى للسلطان الذي له الحق في أن يتنازل عليها لصالح الزوايا. ناهيك عن الأملاك المحبسة التي يتكلف بتسييرها موظف مخزني يدعى "ناظر الأحباس". فهذا التدخل المخزني المباشر هو السر في المراقبة المستمرة لثروات الزاوية ومن ثمة لتطلعاتها السياسية[1].

1 - عبد الرحمان ملوكي، " جوانب من الأدوار السياسية للزوايا "، م. س، صص 66 - 67.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

3- موقف الزوايا تجاه الاستعمار الفرنسي: إن محاولة البحث عن طبيعة العلاقة الرابطة بين الزوايا وحركة المقاومة بالجنوب الشرقي، يتطلب من الباحث سبر أغوار هذه الزوايا لتحديد المقاومة منها والخاضعة، بل حتى المساندة للمستعمر الفرنسي. مما يحتم الربط بين الأطراف الثلاث؛ المستعمر، والمخزن، والزوايا، ويجعلنا نطرح التساؤل الآتي: أُ أيَّدتْ الزوايا التي كانت تابعة للمخزن الاستعمار الفرنسي، أم عارضت سياسة المخزن المهادنة للتوغل الفرنسي بالتخوم الشرقية وبمنطقة تافيلالت؟

لقد تباينت أدوار الزوايا ما بين مؤيدة للمخزن، ومعارضة لسياسته اتجاه الفرنسيين بالجنوب الشرقي، مما جعلها بدون شك تساهم في تأطير السكان وتؤثر على توجهاتهم، ومن ثمة انقسم سكان الجنوب الشرقي إلى موالين لأجهزة الحماية الفرنسية والمخزن بتأثير من الزاوية الزروالية ذات الطريقة الشاذلية في القنادسة، وآخرين مناوئين للسلطة المخزنية والاستعمار الفرنسي وهم الذين قادوا عملية الجهاد والمقاومة في تافيلالت ونواحيها بقيادة أتباع الطريقة الدرقاوية في زاويتي رحمة الله وكَاوز المدغريتين[1]. وهناك من يذهب إلى القول بأن تقليد تبعية الزوايا للسلطة العليا في البلاد سوف يستمر حتى في عهد الحماية، وذلك في صورة تزكية الزوايا لسياسة الإقامة العامة الفرنسية، مما سيجر عليها سَخَط الحركة الوطنية التي سوف تتهمها بالخيانة[2].

يتجلى تماهي بعض الزوايا مع المخزن المركزي وحرصها على طاعته وعدم مخالفة أوامره في الرسالة التي بعث بها شيخ الزاوية الكرزازية سيدي عبد الرحمان بن محمد إلى الحاجب أحمد بن موسى في 13 شوال 1317هـ/ 14 فبراير 1900م، يخبره فيها بأنهم لايزالون ملتزمين بالهدنة مع الفرنسيين كما أمرهم المخزن، ولكن التدخل الفرنسي اقترب من ديارهم وأصبح قاب قوسين أو أدنى منهم، وهذا ما جعله يطلب من السلطة المخزنية التدخل: "**حفظ الله مقام محبنا وأعز الخلائق لدينا وزير سيدنا الأرضى الفقيه العلامة سيدي أحمد بن موسى ... وأننا بحمد الله وشامل يمنه ومنته من حين ورد علينا كتاب سيدنا الشريف مع كتابك**

1 -- Mohamed Lmoubariki, La résistance du Sud-Est Marocaine à la pénétration Francaise 1906 1934, Thèse pour le Doctorat d'Histoire, Université Lumière, Faculté du Géographie, 1990-1991, (Dactylographie), p 125.

2 -- عبد اللطيف أكنوش، م. س، ص 109.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

الظريف امتثلنا ذلك ونهضنا ... واعلم أن النصارى دمرهم الله دخلوا لنا حية توات في عرش تدكلت وقد سمعنا ذلك، وقد سمعنا أيضا أنهم بلغوا للمكان الذي يسمى أجنبي يقصدون ناحيتنا هذه، وقد أتانا كتاب سيدنا سابقا أن نكونوا على أمان منهم، فالآن خفنا من ورودهم لنا... اكفوننا همهم كفاكم الله هم الدارين وصلح منا ومنكم الظاهر والباطن"[1].

وقد ساهمت زوايا تافيلالت في التحريض على الجهاد منذ فجر الاستعمار الفرنسي للجزائر، وكان للزاوية الدرقاوية بزعامة الشيخ محمد العربي المدغري الدور الحاسم في بلورة ثقافة المقاطعة كنوع من أنواع الجهاد والمقاومة، ولعبت الدور نفسه في التحريض على صد التوغل الاستعماري بالواحات الحدودية المغربية، وضرب المصالح الاقتصادية والعسكرية لقوات الغزو، عن طريق القيام بالهجمات والغارات المفاجئة والسريعة.

هكذا لاقت دعوات شيوخ الزوايا صدى طيبا لدى قبائل التخوم والجنوب الشرقي عموما. فعلى الرغم من إصدار السلطان مولاي الحسن أوامره لشيخ الزاوية الدرقاوية "الشريف المدغري" بالتوقف عن التحريض على المقاومة[2]، فإن دعوات هذا الشيخ لقيت استجابة واسعة من قبل قبائل هذه المناطق، خاصة من لدن قبائل أولاد جرير وآيت خباش الذين قاموا بشن غارات على قوافل ذوي منيع الذين اتُّهموا بالتآمر مع الأعداء وإرشادهم نحو ضفاف وادي زيز، بل تطور هذا الوضع سنة 1906م إلى حظر آيت خباش الاتجار مع كولومب بشار بدعم من خليفة السلطان بتافيلالت مولاي رشيد، وتهديد ذوي منيع من عواقب التمادي في التبادل التجاري مع قبائل هذه المنطقة عبر حمادة كَير، هذه العقوبات التي لن تكون سوى نهب نخيلهم بتافيلالت وحقول زرعهم بوادي كَير[3].

لقد ظلت الزوايا بالجنوب الشرقي وضمنها حركة المقاومة خلال أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين متأثرة بخطابات المخزن المداهنة لسلطات المستعمر، والعاجزة

1 - م. و. م، ملف التخوم الشرقية.

2 - أحمد بن القاسم المنصوري، كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، تحقيق محمد بن لحسن، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، ط 1، 2004، ص397.

3 - Ross E Dunn, Resistance in the Desert. Moroccan responses to French imperialism 1881-1912, Croom Helm/University of Wisconsin Press, London/Madison, 1917, pp 219 - 220.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

على مقاومته وصد عدوانه، أو المتآمرة معه والداعمة لجهوده في اختراق المجال الترابي لقبائل التخوم وتافيلالت، بيد أن هذا النهج لم يرق بعض الزوايا التي آثرت خيار الجهاد والمقاومة، وعدم مجاراة المخزن السلطاني في مواقفه المنحازة للمستعمر. إذ ستتلقى شيوخ هذه الزوايا الدعم والمساندة من قبل قبائل المقاومة بالواحات والقصور، سيما رحل آيت خباش وآيت مرغاد وآيت حمو الذين أبلوا البلاء الحسن في جهاد النصارى، وكبّدوهم خسائر وهزائم سُجّلت في جل الكتب والمؤلفات التي تحدثت عن تاريخ مقاومة تافيلالت خصوصا والجنوب الشرقي عموما.

الخاتمة: لقد قامت الزوايا بأدوار هامة في ضبط وتنظيم مجتمع القصور بتافيلالت، فضلا عن تمكينهم من العلوم والمعارف الضرورية في حياتهم الدينية والدنيوية. كما اهتم زعماء هذه الزوايا بمجالات التربية والتصوف، والحث على العبادة والزهد وطاعة الله في السر والعلانية. وبالموازاة مع الدور الديني تقلت هذه الزوايا أدوارا سياسية غاية في الأهمية تجلت بالأساس في المصالحة بين القبائل والقصور المتصارعة، والسهر على تثبيت السلم والأمن النفسي والاجتماعي داخل قصور تافيلالت، وذلك عبر تقديم النصح والإرشاد، والمساهمة الفعالة في حل المشاكل العالقة، ورأب الصدع وتليين الخواطر.

ومن المعلوم هذه الأدوار أسهمت بدون شك في زيادة تمتين العلاقة بين زوايا تافيلالت والمخزن المركزي الذي رأى فيها كل المؤشرات الإيجابية التي ستجعله أكثر ارتباطا بها، بل أكثر من ذلك، دفعه ذلك الأمر إلى إصدار ظهائر سلطانية خاصة بتكريم وتعظيم شيوخ زوايا المنطقة، إضافة إلى الإنعام عليهم بعدد كبير من المنح والهدايا والهبات.

وعلى الرغم من عدم مسايرة بعض زوايا الجنوب الشرقي لدعوات الجهاد والمقاومة ضد الغزو الفرنسي فإن أغلب زوايا المنطقة كانت إلى جانب صفوف المجاهدين، لاسيما زوايا تافيلالت، وفي مقدمتها الزاوية الدرقاوية بقيادة الشيخ محمد العربي المدغري. و هكذا تشكل تحالف قوي بين زعماء الزوايا الموالين لحركة المقاومة وزعماء المجاهدين، حيث استخدم الأولون الكلمة والمواعظ المحرضة على الجهاد والمرغبة فيه, في حين قدم الآخرون السيف والنفس. وكلا الفريقين كانت له مساهمة في صد الزحف، ومقاومة الغزو الاستعماري، والدفاع عن حياض الوطن.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

وختاما يمكن القول أن هذه الدراسة حاولت قدر المستطاع إبراز علاقة زوايا تافيلالت بالمخزن وحركة المقاومة خلال فترة تاريخية عصيبة عاشها المغرب سيما بعدما استعمرت جارته الشقيقة بلاد الجزائر من قبل الفرنسيين. لذلك كام من الضروري بروز زعماء روحيين يدعون إلى الجهاد ويرغبون فيه، الأمر الذي اضطلع به بعض شيوخ زوايا الجنوب الشرقي وزوايا تافيلالت على وجه الخصوص. غير أن هذه الدراسة تنفتح على مواضيع متقاطعة معها تحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب لاسيما في الشق المتعلق بدور الزوايا في حركة الجهاد المقاومة بالجنوب الشرقي المغربي، وأيضا العلاقة الجدلية بين الزوايا والمخزن إبان التوغل الاستعماري الفرنسي بالجهة الشرقية.

قائمة المصادر والمراجع:

1- محمد حجي،" المؤسسات الدينية بالمغرب في القرنيين السادس عشر والسابع عشر"، مجلة المناهل، ع 1، مطبعة فضالة، المحمدية، 1980.

2- عبد الرحمان ملوكي، "جوانب من الأدوار السياسية للزوايا بمنطقة تافيلالت قبل الفترة الاستعمارية"، ضمن كتاب جماعي مغرب التنوع مباحث في التاريخ والتراث، منشورات مركز رؤى للدراسات والأبحاث، فاس، ط 1، 2021.

3 - مصطفى الكثيري، "تقديم"، ضمن أعمال ندوة دور علماء تافيلالت وأدبائها وفنانها وقبائلها وجيش التحرير في مقاومة الاستعمار، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط 1، 2015.

4 - إدمون دوتي، مهام في المغرب من خلال القبائل، ترجمة ودراسة وتعليق عبد الرحيم حزل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2015.

5 - عبد الله استيتو، دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط1، 2013.

6 - عبد الرحمان ملوكي، التاريخ الاجتماعي لتافيلالت خلال القرن التاسع عشر (1845 - 1900) من خلال نماذج من وثائق مخزنية، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس، السنة الجامعية، 2009 - 2010، (مرقونة).

7 -ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984.

8 - وس إدان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي: المواجهة المغربية للأمبريالية الفرنسية ،1881 – 1912، ترجمة أحمد بوحسن، منشورات زاوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،19.

9 - مزيان أحمد ، المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845- 1912). منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج2، ط2، 2007.

10 - رواية شفوية ، أجريت يوم الجمعة 31 غشت 2018م بزاوية سيدي الغازي بن العربي على الساعة الحادية عشرة صباحا مع شيخ الزاوية نفسها السيد "عبد العزيز الغازبوي" من مواليد سنة 1950.

11 - أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17 مطلع القرن 20): دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، إصدار آفاق متوسطية، مطبعة صونير، 1994.

مجلة عصور الجديدة- مجلة علمية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية- جامعة وهران1
المجلد14- العدد1 (ماي) 1445هـ/2024م
EISSN 2600-6324 ISSN 2170-1636
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/178

12 - عبد اللطيف أكنوش، تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، مطابع افريقيا الشرق، 1987، الدار البيضاء.
13 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 5، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.
14 - مديرية الوثائق الملكية، ملف الصحراء الشرقية.
15 - م. و. م، ملف الصحراء تافيلالت.
16 - م. و. م، ملف التخوم الشرقية.
17 - ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000.
18 - أحمد بن القاسم المنصوري، كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، تحقيق محمد بن لحسن، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الرباط، ط 1، 2004.
19 - Michaux Bellaire, « Conférences sur les Confréries religieues au Maroc », Archives Marocaines, volume 27.
20 - Morsy Magali, Les Ahansals, examen du rol historique d'une famille maraboutique de l'atlas marocain, Paris, 1972.
21 - Abdellah Laroui, les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain (1830-1912), Centre culturelle arabe, 2ème édition, 2001.
22 - Mohamed Lmoubariki, La résistance du Sud-Est Marocaine à la pénétration Francaise 1906 - 1934, Thèse pour le Doctorat d'Histoire, Université Lumière, Faculté du Géographie, 1990-1991, (Dactylographie).
23 - Ross E Dunn, Resistance in the Desert. Moroccan responses to French imperialism 1881-1912, Croom Helm/University of Wisconsin Press, London/Madison, 1917.